مجلة الحقيقة للعلوم الاجتماعية والانسانية
EL - HAKIKA (the Truth)
Journal for Social and Human Sciences

المجلد: 22 / العدد: 01 / السنة: 2023 ص ص: 382 - 399

دور البعد الثقافي للمنهج التربوي في حضارة مالك بن نبي

The role of the cultural dimension of the educational curriculum in the civilization of Malik bin Nabi

نوال بناي[1]*، غنية زايدي[2]

[1] جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة (الجزائر)، naoual.bennai@univ-dbkm.dz

[2] جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة (الجزائر)، g.zaidi@univ-dbkm.dz

تاريخ الاستلام: 2022/04/14 **تاريخ القبول:** 2022 /12/08 **تاريخ النشر:** 2023 /03/30

ملخص:

دور البعد الثقافي كأحد الأبعاد الرئيسية للمنهج التربوي في حضارة مالك بن نبي، من خلال الطرق المعتمدة في المنهاج التربوي وعليه فدور الثقافة كعامل محوري في أي عملية تربوية تهدف إلى التغيير وبناء الإنسان الحضاري، التربية عملية دمج ثقافي أو تكييف واع أو غير واع تتحقق من خلاله العملية التعليمية، ومحور أساسي تدفع باتجاه التغيير، لأن العلاقة بين البعد الثقافي والمنهج التربوي في حضارة مالك بن نبي مترابطة ومتكاملة.

كلمات مفتاحية: الحضارة؛ البعد الثقافي؛ المنهج التربوي؛ الثقافة؛ المنهج.

Abstract:

The role of the cultural dimension as one of the main dimensions of the educational curriculum in the civilization of Malik Bennabi, the strategies adopted in the educational curriculum Because the relationship between the cultural dimension and the educational curriculum in the civilization of Malik bin Nabi is interconnected and integrated.
Keywords: Civilization; cultural dimension; pedagogical curriculum; the culture; curriculum .

مقدمة:

مالك بن نبي واحد من أبرز مفكرين القرن العشرين الذي إهتم بقضايا الأمة العربية الإسلامية حيث قدم تحليلا دقيقا ومعمقا عن وضعية الفرد المسلم مستندا بذلك لوضع أساس

* المؤلف المرسل

منهجية وتربوية لمشروع حضاري كبير، متجاوزا في ذلك الكثير من المقاربات في عصره، التي حاولت إصلاح الفرد والمجتمع شأنه بذلك شأن الكثير من العلماء الذين اهتموا بصحوة ونهضة المجتمع الإسلامي وتغيير وإصلاح أحواله التي تعرف تدهورا وانحطاطا في مختلف مجالات الحياة الإنسانية.

يدل الإرث الغني الذي تركه لنا المفكر الجزائري عن نظره معرفية ثاقبة ووعي فكري في تصور مشروع حضاري شخص فيه المرض الاجتماعي للأمة الإسلامية والدواء الواجب تناوله للقضاء عليه من جذوره، وترتبط الحضارة والثقافة بمفهوم آخر هو مفهوم التربية التي تعد مسألة في غاية الأهمية في التجديد والبناء الحضاريين، إلاّ أنه لم يقتصر في تحديدها على جانبها المدرسي الأكاديمي التعليمي، ولكنها كوسيلة عامة وكمنهج منظم للتثقيف والتغيير والتجديد الحضاري، فالتربية كعملية إنسانية تكاملية مستمرة لا يحدها إطار زماني أو مكاني معين، تمس كافة مناحي الحياة، فهي الأساس الذي تنبني عليه حياة الإنسان باعتبارها مراقب يعالج أمراض النفس ومطباتيا، وأمراض المجتمع ومشاكله، لذا ظهرت أهمية التربية في تنمية الأمم و تطورها الاجتماعي والاقتصادي وتطوير قدراتها الذاتية على مجابهة التحديات الحضارية التي تعترضها. (**العابد، 2014، صفحة 16**)

نتيجة للتغيير (التغير الثقافي) الذي طرأ على أهداف التربية وعلى النظرة إلى وظيفة المدرسة بسبب التغييرات التي طرأت على إحتياجات المجتمع وفق هذه المتغيرات، ونتائج البحوث والدراسات التي تناولت الجوانب المتعددة للمنهج التقليدي والتي أظهرت قصورا جوهريا في إجراءاته ومفهومه، والدراسات الشاملة التي عدلت من الكثير مما كان سائدا عن طبيعة المتعلم وسيكولوجيته، وطبيعة المنهج التربوي نفسه، فهو يتأثر بالمجتمع والتلميذ والبيئة والثقافة والنظريات التربوية الحديثة. (**حساني، 2012، صفحة 13**)، ومهما تنوع المحتوى الثقافي، فان المنهج يميل إلى التقليد الجماعية، إذا ركزت غاياته العامة على العموميات الثقافية دون الخصوصيات والبدائل، وإلى التقدمية الفردية إذا جسدت الغايات العامة البدائل والخصوصيات دون غيرها. (**حمدان، 2018، صفحة 57**)

تعد الثقافة نظرية في السلوك أكثر مما هي نظرية في المعرفة (شبار، **2007**، **صفحة 403**)، وإن الواقع الثقافي على مستوى العالم أجمع بصورة عامة، أنه يعاني من أزمة الفصل التام تقريبا بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية، أو بين الثقافة العلمية والثقافية الإنسانية. (**باشا، 2017، صفحة 50**)، بحيث يتوحد سلوكها إزاء مشكلات الحياة مهما إختلفت مهنها، وبنماذج تنتمي إلى ثقافات مختلفة، ولكن تختلف السلوكات مهما توحدت مهنها، وبهذا تكون الثقافة أعم من التعليم نفسه، وأعم من المعرفة وأوثق صلة بالشخص.

تعد الثقافة أعم من أن تحصر في الأفكار، وبالتالي هي ليست مجرد معارف ذهنية مجرد معارف ذهنية مجردة، بل هي معارف وإدراكات ممزوجة بقيم وإعتقادات مجسدة في أعمال وسلوكيات، ولا تقبل بضم خبرات جديدة إلى مخزونها المعرفي أو الخيالي، إلا إذا لم تكن هذه الخبرات تتعارض مع خبرات سابقة وراسخة تضمن توازناتها في المناهج التربوية. (**شبار، 2007**) وعليه يمكن طرح التساؤل التالي: ما دور البعد الثقافي للمنهج التربوي في حضارة مالك بن نبي؟

أهداف الدراسة: تكمن أهداف الدراسة فيما يلي:

- معرفة دور البعد الثقافي للمنهج التربوي في حضارة مالك بن نبي.
- معرفة العلاقة بين الحضارة والثقافة.
- معرفة دور التربية في حضارة مالك بن نبي.
- تحديد أهم النقاط الرئيسية في منهج مالك بن نبي.

المبحث الأول: مفهوم الحضارة في تاريخ التربية

إن مفهوم الحضارة من المفاهيم التي حظيت بالاهتمام والبحث من طرف العديد من المفكرين والعلماء والباحثين من مختلف تخصصات العلوم الإنسانية والاجتماعية، ذلك أن هذا المفهوم يعبر عن ظاهرة إنسانية تعكس الإنتاج العقلي والفكري والمادي للإنسان والذي يمثل تنمية شاملة للحياة الإنسانية سواء من الناحية العقلية والروحية والخلقية أو من الناحية المادية والتقنية. وفيما يلي سنقدم عرضا عن أهم التعاريف المتعلقة بهذا المفهوم والتي تمثل وجهات نظر متعددة لعلماء يمثلون مدارس وتيارات مختلفة.

ولعل من أهم التعاريف ما يعود للمؤرخ الانجليزي أرنولد توينبي (**Arnold Toynbee**) حيث يرى بأن الحضارة هي "مجموعة الأفكار والرؤى والقيم السائدة التي توجه الإنسان والتي تترك بصماتها وتلقي بظلالها على المنظومة الذهنية وأساليب وطرق التفكير لدى الإنسان وعلى الدولة والمجتمع وهي سمة المجتمع بما يحتويه من أفكار ومبادئ وعادات وتراثيات وطبيعة الحياة من الجهة النظرية والفكرية والعملية، فالحضارة هي ما يحتويه الإنسان من الثقافة". (**العابد، 2014، الصفحات 149–150**)، فهذا التعريف كما يبدو يركز على الجانب الفكري والعقلي والثقافي لحياة الأفراد داخل المجتمعات، أما العالم ول.ديورانت (Will Durant) فيجمع في تعريفه بين كل من المظهر الخلقي والمظهر المادي للحضارة اذ يرى بأنها "نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة في إنتاجه الثقافي، وتتألف من عناصر أربعة: الموارد الاقتصادية، والنظم السياسية، والتقاليد الخلقية، ومتابعة العلوم والفنون، وهي تبدأ حين ينتهي الاضطراب والقلق، لأنه إذا ما آمن الإنسان من الخوف تحررت في نفسه دوافع التطلع وعوامل الإبداع والإنشاء، وبعدئذ لا تنفك الحواجز الطبيعية تستنهضه للمضي في طريقه إلى فهم الحياة وازدهارها". (**ديورانت، 1988، صفحة 3**)

فيما يتعلق بالأنثروبولوجي الأمريكي ادوارد تايلور (Edward Taylor) فانه يرى بأن مفهوم الحضارة مرادف لمفهوم الثقافة والذي قام بتعريفه في كتابه الثقافة البدائية حيث يرى بأنها "ذلك الكل المركب الذي يشتمل على المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون والعادات وغيره من القدرات التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضوا في مجتمع". (**الحاجي، دون سنة، صفحة 26**)

جاء مفهوم الحضارة عند المفكر الاجتماعي عبد الرحمن ابن خلدون ملازما لمفهوم الدولة، فظهور الحضارة مرتبط بظهور الدولة أولا، حيث يؤكد ابن خلدون أن تأسيس الدولة يسبق دائما تأسيس المدينة فتكوين الدولة، وهو على كل حال، لازمة طبيعية لعمل العصبية، يؤدي حتما إلى العمران الحضاري (أو الحضارة). (**مغربي، 1998، صفحة 167**) هو ما جاء على لسانه عندما قال "إن الدولة والملك والعمران، بمثابة الصورة للمادة، وهو الشكل الحافظ بنوعه لوجودها، وقد تقرر في علوم الحكمة أنه لا يمكن انفكاك أحدهما عن الآخر ". (**خلدون، 1857، صفحة 670**)

يرى حسين فهيم في كتابه الرائد عن قصة الأنتروبولوجيا أن مفهوم الحضارة حسب وجهة نظره الخاصة "يشير إلى المظهر الثقافي المتقدم لدى شعب من الشعوب والذي تحدده درجة تقدمه مجموعة من الانجازات في مجالات العلوم والآداب والفنون والنظم السياسية والاجتماعية." (**فهيم، 1986، صفحة 19**)، أما عن حسين مؤنس فيعرف الحضارة بأنها "ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته سواء كان المجهود المبذول للوصول إلى تلك الثمرة مقصودا أم غير مقصود، وسواء كانت الثمرة مادية أم معنوية". (مؤنس، 1978، صفحة 13) هذا التعريف يعطي نظرة شاملة متكاملة عن كل مجالات الحضارة المادية أو اللامادية عكس سابقه الذي يحصر الحضارة في الجانب الأخلاقي والمعنوي للحياة الإنسانية، ويختتم مؤنس كلاما مفصلا عن علاقة الحضارة بالتاريخ والعقل والإنسان بخلاصة صغيرة عن مفهوم الحضارة عندما يقول: "الحضارة ظاهرة إنسانية عامة، فالإنسان هو المخلوق الوحيد الذي يرتقي ويعمل على تحسين أحوال نفسه بفضل ما أهداه الله من عقل يمكنه من التفكير واختزان المعلومات والربط بينها والإفادة منها، فكل أجناس البشر متحضرة، وما من شعب إلا وله مستواه الحضاري، والفرق في المستويات". (**مؤنس، 1978، صفحة 44**)

يعرفه المفكر الجزائري الطيب برغوث الذي يرى بأن الحضارة هي "المستويات الراقية من الإشباع المتوازن للحاجات الإنسانية، المعرفية والروحية أو الاجتماعية، التي تدفع بالحياة البشرية نحو المزيد من الترقي المعرفي والروحي والسلوكي والعمراني، وتتيح للإنسان الاستمتاع الأمثل بخلافته في الأرض، تهيئة شروط تأمين هذا الاستمتاع في بقية مراحل دورته الوجودية". (**برغوث، 2014، صفحة 30**) يتجلى من هذا التعريف التوضيح الدقيق للمعنى الحقيقي للحضارة ولمجالاتها ومستوياتها التي تهدف إلى تحسين تطوير مستوى معيشة الإنسان في حياته الآنية والمستقبلية.

المبحث الثاني: مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي

لقد كان مالك بن نبي أحد المفكرين المتميزين في زمانه بأفكاره وتحليلاته واستنتاجاته، فلقد تحمل عبئ قضية النهضة الإسلامية وذلك عندما تكلم بوضوح وتفصيل عن موضوع الحضارة وشروطها وعن أسباب الانحطاط والتخلف، فهو مدرسة من مدارس الفكر المعاصر اذ سلك نهجا موضوعيا في دراسة مشكلات العالم الإسلامي وتحليلها تحليلا علميا دقيقا بغرض

الكشف عن أصل هذه المشكلات واقتراح الحلول التي اعتبرها الطريق الوحيد لتحقيق الحضارة المنشودة.

شغلت مالك بن نبي قضية الحضارة، فأدرك تماما أن مشكلة أي شعب في أصلها وفي جوهرها مشكلة حضارته، ولما كان العالم العربي والإسلامي يعيش حالة التخلف والانحطاط والانحلال والانعزال والاستعمار، عاش هو لأمته العربية الإسلامية، ولفكره ولنظريته. (**بوبكر، 2010، صفحة 12**)

ترى الباحثتين أنه من الواجب قبل التعرف على أفكار بن نبي حول الحضارة من خلال تحليلاته لعناصر الحضارة وللدورة الحضارية التطرق لتعريفه لمفهوم الحضارة والذي جاء في العديد من كتاباته المختلفة التي تعالج كما ذكر وكلها بدون استثناء مشكلات الحضارة، حيث يرى "أنها مجموعة الشروط المعنوية والمادية التي تتيح لمجتمع ما أن يقدم جميع الضمانات الاجتماعية لكل فرد يعيش فيه". (**مالك، 2000، صفحة 61**)

يقول في سياق آخر "أن يتعلم الإنسان كيف يعيش في جماعة، ويدرك في الوقت ذاته الأهمية الرئيسية لشبكة العلاقات الاجتماعية، في تنظيم الحياة الإنسانية، من أجل وظيفتها التاريخية". (**مالك، 1986، صفحة 94**) وأيضا يقول: "أن أي تفكير في مشكلة الحضارة هو في جوهره تفكير في مشكلة الثقافة، وبذلك تكون الحضارة في جوهرها عبارة عن مجموع من القيم الثقافية المحققة". (**مالك، 2000، صفحة 101**)

كما جاء في أحد مؤلفاته أن الحضارة هي "إنتاج فكرة حبة تطبع على مجتمع معين يكون في حالة ما قبل التحضر الدفعة الحضارية التي تجعله يدخل التاريخ، فيبني نظامه الفكري طبقا للنموذج المثالي الذي اختاره، فتتأصل جذوره في محيط ثقافي أصيل يتحكم في سائر خصائصه التي تميزه عن الثقافات الأخرى، وعن الحضارات الأخرى". (**مالك، 2002، صفحة 19**) وبذلك فإن الحضارة عند مالك بن نبي "تعني بالدرجة الأولى ناتج انسجام وتكامل الجهود الإنسانية مع الآفاق والتطلعات، وجملة الشروط النفسية والاجتماعية والروحية الدينية والمادية، من أجل النمو والازدهار في الجوانب الفكرية والروحية والسلوكية والاقتصادية والاجتماعية والمادية في الواقع المعاش". (**بوبكر، 2010، صفحة 38**)

نستنتج من خلال كل ما جاء سابقا أن المفكر مالك بن نبي قام بالتركيز على ظاهرة الحضارة بصفتها أعلى مراتب النشاط الإنساني ونتيجة تفاعل مجموعة من العوامل والشروط من خلال إنتاجه الفكري الذي كان مرتكزا على أزمة التخلف والانحطاط الحضاري. وأيضا تحليله لمشكلة الحضارة كان من خلال "العناية بالفكرة باعتبارها هي المحرك للإنسان، العناية بالجانب الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية، العناية بالجانب السياسي والعناية بالجانب الاقتصادي". **(بوخلخال، 2012، صفحة 48)**

المبحث الثالث: عناصر الحضارة عند مالك بن نبي

يذهب مالك بن نبي في مختلف كتاباته إلى أن عناصر الحضارة تتشكل في معادلة رياضية ثلاثية تتمثل في الإنسان والتراب والوقت، وهذه العناصر لا يمكن أن تكون ذات فعالية إلا إذا انظم إليها عنصر رابع يقوم بدور التركيب والإدماج وهو العامل الديني أو العنصر الأخلاقي.

المطلب الأول: الإنسان

يركز مالك بن نبي في كتاباته على الإنسان والشروط المختلفة التي يجب أن تتوفر فيه سواء من الناحية الدينية أو الاجتماعية أو النفسية لكي يتجاوز حالة النقص والتخلف واليأس التي يعرفها ويرتقي إلى مستوى التفكير والنشاط والحيوية في علاقاته الاجتماعية، حيث يجب على الفرد التخلص من عقلية الكسل والخمول من جهة والصعب والاستحالة من جهة أخرى لكي يتمكن من إيجاد الحلول للكثير من قضاياه ومشكلاته وفي ذلك يقول "إن الفكرة الدينية تحدث تغييرها حتى في سمات الفرد ومظاهره، حتى تغير في نفسه". **(مالك، 1986، صفحة 80)**

المطلب الثاني: التراب

يقصد مالك بن نبي بالتراب كل شيء على الأرض وفي باطنها، وهذا التراب يتصل بالإنسان في صورة الملكية في المجتمع من الناحية القانونية وكذلك من الناحية العلمية والسيطرة الفنية،لم يبحث بن نبي عن طبيعة التراب وخصائصه عند وضعه العنصر الثاني في معادلته الشهيرة، بل كان يركز على قيمته الاجتماعية المستمدة من قيمة الملكية، لذلك فإن تقدم الأمة وحضارتها تعكس تقدم ترابها وارتفاع قيمته.

المطلب الثالث: الوقت

يتناول بن نبي عنصر الوقت من حيث قيمته الاجتماعية أيضا، فإدراك قيمة الوقت عند الإنسان ذو أهمية لأنه يدخل في تكوين الحضارة ومنتجاتها، لذلك يرى بن نبي بضرورة الاستغلال الفعال للوقت من خلال توجيه الطاقات المتوفرة – في البلدان المسلمة – من قدرات وعقول بشرية لكي تستغل في كل وقت لأن الوقت عند الفرد الذي يعيش في مرحلة الحضارة لا مكان فيه للتكاسل والخمول واللهو.

المبحث الرابع: مراحل الحضارة

إن الحضارة مفهوم راقي يدل على التقدم والرقي الذي وصلت إليه أمة من الأمم في نواحي نشاطها الفكري والعقلي من عمران ومعارف وعلوم وفنون، ويعبر أيضا هذا المفهوم على أن الحضارة ظاهرة إنسانية أساسية تميز المجتمع الإنساني وتمثل جميع مظاهر النشاطات المادية والمعنوية لأمة من الأمم بغرض التقدم في جميع مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والتربوية والمعرفية.

تمر كل حضارة إنسانية في تطورها بمراحل تشبه المراحل العمرية للإنسان: الطفولة، الشباب، الشيخوخة والموت، أي أن لكل منها فتراتها الزمنية وعمرها الذي يكفيها لأداء وظيفتها في العالم، حيث تعرف في البداية تقدما ماديا ومعنويا ثم يلحقها التخلف والتراجع حتى تشهد نهايتها لتبدأ دورة حضارية جديدة في مجتمع آخر.

يعد مالك بن نبي واحد من المفكرين الكثيرين الذين يرون بأن للحضارة دورة حضارية أي مراحل تمر بها، في إطار قانون يحكم سير الحضارات وتطورها ويساهم في الكشف عن طبيعة الحضارات وعوامل قيامها وانحطاطها. وتمر دورة الحضارة في تصور مالك بن نبي بثلاث مراحل وهي:

المطلب الأول: مرحلة الروح

تتمثل نقطة انطلاق الحضارة في دخول فكرة دينية إلى حالة الفطرة والطبيعة التي كان يعيش عليها الإنسان فتتحول إلى حالة النظام والقيم السامية والتقدم الفكري والتربوي والاجتماعي والاقتصادي بعد ما كان في حالة الفوضى والصراع من أجل البقاء، أي أنه في هذه

المرحلة يخضع الإنسان لسلطان الروح سيادتها عليه، وهو ما يساهم في التحكم في العقل البشري وتقوية الشعور الإنساني وتوظيف الغرائز الفطرية خدمة للمثل السامية.

المطلب الثاني: مرحلة العقل

تعرف هذه المرحلة مشكلات جديدة بسبب أن الروح تتوقف عن السيطرة المطلقة للغرائز، فتتراجع القيم الدينية ويحل محلها قيم العقل، والعقل كما يرى مالك بن نبي لا يملك سيطرته على الغرائز مثل سيطرة الروح عليها، فتبدأ الغرائز تتحرر من قيودها تدريجيا، كما تتحرر طاقات الإنسان كذلك من قيود القيم الدينية ويتجه نحو التطور في مختلف مجالات نشاطاته بمقابل التخلف الروحي الذي ينبئ بحدوث الأمراض الاجتماعية.

المطلب الثالث: مرحلة الغريزة

هي آخر مرحلة من مراحل الحضارة الإنسانية تتميز بفقدان العامل الديني لوظيفته الاجتماعية وفقدان القيم الأخلاقية لدورها الرائد في مجرى التاريخ وهو ما يؤدي إلى سقوط الحضارة وانحطاطها، فنهاية دورة الحضارة إذا يكون عندما تفقد الروح سيطرتها الكاملة على الغرائز ويسود الترف والبذخ ويبدأ المجتمع في الانحلال خاصة مع ضعف شبكة العلاقات الاجتماعية، وفي هذا يقول بن نبي "فإذا ما بلغ هذا التحرر تمامه، عادت الغرائز إلى سيطرتها على مصير الإنسان، وبدأ الطور الثالث من أطوار الحضارة، بظهور الغريزة التي تسفر عن وجهها تماما. وهنا تنتهي الوظيفة الاجتماعية للفكرة الدينية، وتعود الأشياء كما كانت في مجتمع منحل". (**مالك، 1986، الصفحات 111–112**)

المبحث الخامس: العلاقة بين الحضارة والثقافة

من خلال تصفح العديد من المراجع العلمية التي تتناول موضوع الحضارة والثقافة الإنسانية فإنها تبرز بأن هناك العديد من الباحثين الذين يستخدمون مفهومي الحضارة والثقافة كمفهومين مترادفين يحملان نفس الأفكار والمعلومات، كما فعل أحد رواد الأنتروبولوجيا العالم ادوارد تايلور وتبعه في ذلك الكثير من المهتمين بهذا المجال، إلا أن هناك مفكرين وعلماء آخرين يفرقون بين المفهومين بحيث يرون أن كل واحد منهما يختلف عن الآخر ويتميز عنه في بعض التفاصيل، بما أنه سبق وأن تعرفنا على مفهوم الحضارة يجدر بنا هنا التعرف على المفهوم الثاني ليتسنى لنا الوصول إلى العلاقة بين المفهومين، وفي الواقع فان مفهوم الثقافة لديه تعريفات كثيرة

حيث تفوق 160 تعريفا وهو ما عبر عنه المفكر الإنجليزي ريموند ويليامز (Raymond.Williams) عندما قال "لا أعرف كم مرة تمنيت لو أنني لم أسمع بهذه الكلمة اللعينة"، تتضمن الثقافة في معظم تعريفاتها على أساليب الحياة المتعددة والأنماط السلوكية والمتعلقة بجماعة من الأفراد موجودة في بيئة اجتماعية واحدة وفي زمن واحد، وهي أيضا كل ما يتعلمه الإنسان أو يرثه كميراث اجتماعي مما ييسر عليه الاندماج الاجتماعي والتفاعل مع أقرانه، لذلك فقد تكون هذه الثقافة مادية أو غير مادية وتشتمل على اللغة والأفكار والقيم والتقاليد والعادات والمبادئ والمعرفة.

كما جاء تعريف الثقافة متفقا عليه في إعلان ميكسيكو سنة 1982 كما يلي: "الثقافة هي جميع السمات الروحية والمادية والعاطفية التي تميز مجتمعا بعينه أو فئة اجتماعية بعينها. وهي تشمل: الفنون والآداب وطرائق الحياة، كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان ونظم القيم والمعتقدات والتقاليد".

يرى شروخ أن "الثقافة أمر اجتماعي، ولا سبيل للبرهنة على امكان انتقالها في السلالة البشرية بالوراثة البيولوجية، ومعنى هذا أن كل مجتمع يقدم لأجياله قاعدته الثقافية المختلفة عن قاعدة غيره...". (**شروخ، 2004، صفحة 181**) أما إبراهيم، ناصر فقد قدم عرضا مفصلا حول تعريف الثقافة ومظاهرها ومجالاتها اختتمه بالقول أن "الثقافة ممارسة وسلوك، إنها الخارطة التوضيحية التي يحملها الإنسان على كتفيه، يهتدي بهد يها ويسير وفق خططها. إنها رادع داخلي، ومراقب منبه، ودليل يقظ، يرشد الإنسان في حياته، فيدل على الطريق الذي يرضاه المجتمع المحيط بالفرد، وتقبله الجماعة التي يتعامل معها إنها الإطار الاجتماعي العام الذي يعيش فيه الأفراد، فيمارسون أنماطا سلوكية مرضيا عنها". (**ناصر، 2011، الصفحات 178–179**)

تعرف سميرة، السيد الثقافة بأنها "حصيلة كل ما تعلمه أفراد مجتمع معين، وبذلك تتضمن نمط معيشتهم وأساليبهم الفكرية ومعارفهم ومعتقداتهم ومشاعرهم واتجاهاتهم وقيمهم والأساليب السلوكية التي يستخدمونها في تفاعلهم مع بعضهم البعض، وكل ما يستخدمه أفراد هذا المجتمع من آلات وأدوات في إشباع حاجاتهم وتكيفهم مع بيئتهم الاجتماعية الطبيعية وحسن استغلال الطبيعة والسيطرة عليها". (**السيد، 1998، صفحة 113**)، ترى الباحثتين أنه من أولوياتهما أن

نحدد العلاقة بينها وبين الحضارة وهو ما جاء من خلال التصور العلمي للمفكر مالك بن نبي لهذه العلاقة، إذ يذهب إلى أن الثقافة هي العلم الذي يغذي جنين الحضارة في أحشائه والوسط الذي تتكون فيه جميع خصائص المجتمع المتحضر ويقول أيضا بأنها "تلك الكتلة نفسها بما تتضمنه من عادات متجانسة، وعبقريات متقاربة وتقاليد متكاملة، وأذواق متناسبة وعواطف متشابهة، وبعبارة أخرى هي كل ما يعطي الحضارة سمتها الخاصة ويحدد قطبيها: من عقلية ابن خلدون، وروحانية الغزالي، أو عقلية ديكارت وروحانية جان دارك، هذا هو معنى الثقافة في التاريخ". (**مالك، 2000، صفحة 77**)

يبدو من خلال عبارات بن نبي أن العلاقة بين الحضارة والثقافة واضحة، فالحضارة هي التطور الملموس للثقافة عبر التاريخ، وفي ذلك نجد أن أغلب علماء الأنتروبولوجيا الذين يهتمون كثيرا بدراسة الثقافة يفضلون استخدام مفهوم الثقافة حتى عندما يتكلمون على المجتمعات المتقدمة ذلك أن هذا المفهوم يشير في الكتابات الأنتروبولوجية إلى أسلوب الحياة السائد في المجتمع الإنساني سواء كان هذا المجتمع متقدما أم متخلفا، بينما يستخدم مفهوم الحضارة في بعض من هذه الكتابات للإشارة إلى التنظيمات الاجتماعية الأكثر تعقيدا أو تقدما، والشعوب كلها تنتقل من الثقافة إلى الحضارة، من أساليب العيش التلقائية الساذجة الى أسلوب الحياة المضبوط المتشابه الذي يجري عليه كل الناس لأن الحضارة في الغالب قوالب ثابتة عامة في التفكير والتصرف". (**مؤنس، 1978، صفحة 333**)

أيضا يمكن الأخذ بالفكرة التي ترى بأن "الحضارة خاصية من الثقافة تتميز بمقدار ما تحتويه، وبنمطها المعقد أو أنها عنصر أساسي في الثقافة أخذ عناية خاصة من الإنسان فقام بالتفكير فيها وبتهذيبها وتحويلها إلى وسائل لتحقيق غايات واضحة".

المبحث السادس: التربية عملية دمج ثقافي في حضارة مالك بن نبي

يفهم من التربية على أنها عملية دمج ثقافي أي عملية تكييف واع أو غير واع تتحقق من خلال العملية التعليمية، بحيث يكتسب الإنسان طفلا كان أو راشدا الكفاية الاجتماعية داخل ثقافته. وقد قال هيرسكوفتس **(Herskovits، 1948)** في كتابه "الإنسان وأعماله" قد عرف الدمج الثقافي على أنه "جوانب عملية التعليم التي تميّز الإنسان من المخلوقات الأخرى،

وبواسطته يستطيع أن يكتسب الكفاية الاجتماعية في ثقافته، تلك الجوانب يمكن أن تسمى بالدمج الثقافي، وهو من حيث الجوهر عملية تكييف واعية أو غير واعية تمارس ضمن حدود معترف بها من مجموعة التقاليد" وهي عملية مستمرة مدى الحياة، وترتبط التربية عند مالك بن نبي بالمفهوم العملي الثقافة الذي يؤكد على أنها "مجموعة من الصفات الخلقية و القيم الاجتماعية التي يتلقاها الفرد منذ ولادته، بوصفها رأس مال أوليا في الوسط الذي يشكل فيه الفرد طباعه الشخصية". (**العابد، 2014، صفحة 215**)

المبحث السابع: المنهج التربوي عند مالك بن نبي

أبرز مميزات منهج مالك بن نبي حرصه على حصانة الفكر وأصالته وصفائه وفعاليته، إنه يريده فكرا فعالا منتجا حضاريا نموذجيا راقيا في الطليعة، كما يريده فكرا ناقدا طليقا، وخصائص المنهج التربوي عنده يعتمد على التحليل الرياضي والمنطقي والفلسفي كما كان يستعمل المنهج النفسي الاجتماعي لاستجلاء مكنونات القضايا الفردية والمجتمعية، وأهم النقاط الرئيسية في منهج مالك بن نبي ما يلي:

- الانطلاق من الحقائق الإسلامية.
- الربط العلمي بالرسالة والدعوة.
- براعة إستعمال الشواهد القرآنية في الإستدلال السنني.
- الاستفادة القانونية من مخبر التاريخ والوعي الرهيف بصرامة السنن.
- الاهتمام بالحقل الرياضي الدقيق.
- التحليل بالواقعية والصراحة والموضوعية.
- النزعة التفاؤلية في أحلك الظروف وإختناق الأزمة بحيث تنبثق منها إمكانية العلاج.

كون التربية عملية تثقيف يكسبها معنى المنهج الذي بواسطته يتم تشكيل وحدة الثقافة التي تعكس حضارة المجتمع وذلك عبر تشكيل العوامل المؤلفة لها وتوجيهها نحو الغاية التي ترسم لها، ويزيد كسبها لمعنى المنهج وضوحا في تشكيل عوالم الثقافة هذه وتوجيهها وذلك من خلال عملية التركيب النفسي لعناصر الثقافة (المبدأ الأخلاقي الجمالي البعد العملي والجانب الفني) وترتيبها وفق ما ينسج مع الوجهة التي يختارها المجتمع لنفسه في شق طريقه نحو الحضارة. وعملية التركيب النفسي هذه تدل على أهمية الإنسان البالغة بالنسبة لعملية إعادة البناء

الحضاري، فهي تقوم بتغير نظرته لنفسه ولأحداث التاريخ فيتحدد بذلك موقفه ومسؤوليته إزاء وضعه المجتمعي ومصيره وبهذا تصبح هذه العملية مرتبكة بنتاجها المتمثل في تغير السلوك.

ويقارن مالك بن نبي في هذا المجال التربية بفكرة الثقافة لتصبح منهاجا تربويا، يقوم بعملية التثقيف تتحدد الثقافة بصفة عامة عندما تصبح تاريخا، فتتمثل لأعين الأجيال في صورة معجزة إغريقية، أو إمبراطورية رومانية، غير أن القرن العشرين قد أدخل مقياسا جديدا في روح المنهج وفي الطريقة التي تحدد بها الثقافة، فالإنسانية قد دخلت عصر التخطيط منذ الحرب العالمية الأولى، فإذا أردنا أن نفهم الثقافة في هذا العصر وجب أن نفهمها كمنهاج قبل أن نحدد النتيجة. (**العابد، 2014، الصفحات 204-205**)

المبحث الثامن: تأثير المحتوى الثقافي بالمنهج

تؤثر الثقافة بالمنهج في مظهرين: إحتواء معارف معينة وإستثناء أخرى و فرض نوع من المحتوى الخاص بها على المنهج، والمحتوى الثقافي الذي تدعو إليه الغايات العامة للمنهج قد يكون في الأنواع التالية:

- عموميات وهي مجموعة العادات والسلوك والمظاهر والأنظمة الإجتماعية السائدة في الحياة المحلية والممارسة من قبل معظم الناس في المجتمع.

- خصوصيات وهي مجموع العادات والسلوك والمظاهر والأنظمة الحياتية التي تتبناها الأفراد نتيجة خلفية خبرات شخصية خاصة ويدخلونها تدريجيا للحياة الإجتماعية المحلية.

مهما تنوع المحتوى الثقافي، فان المنهج يميل إلى التقليد الجماعية، إذركزت غاياته العامة على العموميات الثقافية دون الخصوصيات والبدائل، وإلى التقدمية الفردية إذا جسدت الغايات العامة البدائل والخصوصيات دون غيرها، ويفترض في الأحوال العادية للصناعة المنهجية توفر وصف موجز لما يمكن أن يحتويه المنهج من خبرات ومعارف ومظاهر ثقافية، حيث يتولى مطور المنهج بالتعاون مع العلماء بتخصيص المحتوى الثقافي المناسب للمنهج الجديد. (**حمدان، 2018، صفحة 57**)

المبحث التاسع: دور البعد الثقافي للمنهج التربوي في حضارة مالك بن نبي

لقد استطاع مالك بن نبي أن يبلور نظرية في الثقافة، وظل يلفت النظر والاهتمام لنظريته تلك، وذلك منذ أول كتاب له تحدث فيه عن الثقافة، وخاصة من خلال المحاضرات التي ألقاها في القاهرة ودمشق وطرابلس، وفي الجزائر بعد الاستقلال.

ولقد عالج مالك بن نبي البعد الثقافي في المنهج التربوي من ناحيتين هما : التحليل النفسي للثقافة والتركيب النفسي للثقافة، وستتناول الباحثتين هذين المفهومين كما يلي:

المطلب الأول: التحليل النفسي للثقافة

ركز في هذا البعد مالك بن نبي على بعض الملامح التاريخية التي ساهمت في تكوين مفهوم الثقافة، ومصدر هذه الكلمة ومتى تم استخدامها في اللغة العربية وكيف تبلور هذا المفهوم عند الأوروبيين، ولم يكن التحليل التاريخي للثقافة إلا مدخلا تمهيديا لتأكيد فكرة أن كل مجتمع بحاجة إلى تكوين مفهوم مستقل وخاص به لطبيعة مشكلته الثقافية وذلك حسب مرحلته التاريخية، وان هذه الملاحظة حسب مالك بن نبي لم تكن لتنبني على اعتبارات دينية أو سياسية، بل هي قائمة على اعتبارات فنية خالصة.

ان حديث مالك بن نبي عن التحليل النفسي للثقافة كان بقصد تعميق التمايز الثقافي، بين المجتمعات الإسلامية والمجتمعات الغربية، ولهذا فقد اعتنى مالك بن نبي كثيرا بمناقشة أفكار رواد الفكر اللبيرالي ورواد الفكر الاشتراكي التقدمي، ولذلك فان منهج بن نبي في بناء الشخصية الإسلامية كما يلي:

- إنسان الحضارة نظرا لارتباط الثقافة عنده بالحضارة أكثر من ارتباطها بالعلم.
- يختلف عنه عند مفكري الغرب والشرق على حد سواء.

هذا من حيث المنهج والموقف العام، ومن حيث المعرفة وتحديد الموقف المعرفي أو الرؤية العلمية اتجاه الثقافة فانه يتحدد أيضا على قاعدة التمايز والاستقلال الثقافي، وما يؤكد هذا التمايز الثقافي هو أنه لا ينطلق من خلفية القطيعة والانقطاع الكلي والتام مع الثقافات والفلسفات الأوروبية، كما أنه لا يتشكل على خلفيات ساذجة من حيث التكوينات المعرفية والمنهجية.

المطلب الثاني: التركيب النفسي للثقافة

الحديث عن التحليل النفسي للثقافة، ينتقل مالك بن نبي إلى الحديث عن التركيب النفس ي للثقافة لمعالجة مشكلة الثقافة من زاوية أخرى، وعلى قاعدة التمايز الثقافي، والتباين في مستويات التطور الحضاري، ويرى مالك بن نبي أن مشكلة الثقافة بين العالم العربي والإسلامي والعالمين الغربي والاشتراكي لا تكمن في محاولة فهم الثقافة، وإنما منحصرة في تحقيقها وتمثلها بصورة عملية وتطبيقية وهذا ما يقصده مالك بن نبي بالتركيب النفسي للثقافة.

لتحديد التحليل النفسي للثقافة لا بد أولا من تحديد فهم الثقافة، الفهم الذي يحتاج إلى منهج يحدد طبيعة ومحددات هذا الفهم للثقافة، الذي يفترض أن يتناغم ويستجيب للشروط التاريخية، ودرجة التطور الحضاري، ونوعية المشكلة الاجتماعية، وهذه الطريقة في النظر هي التي يصطلح عليها مالك ابن نبي بالتحليل النفسي للثقافة، والعمل على تحويل هذا الفهم للثقافة من حيز النظرية وعالم الأفكار، إلى حيز الواقع وعالم التطبيق، بحيث تتصل الثقافة بالمجتمع، ويتصل المجتمع بها، هذه المهمة يصطلح عليها ابن نبي بالتركيب النفسي للثقافة، محاولة فهم الثقافة يحددها مالك ابن نبي في إطار التاريخ، وتطبيق الثقافة يحددها في إطار التربية، وهذا بطبيعة الحال يقودنا إلى توظيف الثقافة كعامل محوري في أي عملية تربوية تهدف إلى التغيير وبناء الإنسان الحضاري من منظور الأسس الفلسفية لهذه الثقافة .(**بوعزة، 2015، الصفحات 38–39**)

خاتمة:

أدرك المفكر مالك بن نبي الواقع السلبي والمرير الذي تمر به الأمة الإسلامية – رغم اعتزازها بجذورها وانتصاراتها في ما سبق – فعلم بحاجتها لنهضة تقوم على أسس علمية قوية وتبنى تيار التجديد والتغيير والإصلاح الفكري والروحي، وكانت نقطة انطلاقه جمع المعرفة العلمية من خلال ملاحظة المشكلات التعرف على أسبابها وتحليلها وتفسيرها، فكانت الحلول في شكل مشروع حضاري يهدف إلى بناء الإنسان وإعادة تحقيق النهضة المنشودة.ولقد تم التوصل الى النتائج التالية:

– الحضارة التربوية تعد نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة في إنتاجه الثقافي، وتتألف من عناصر أربعة: الموارد الاقتصادية، والنظم السياسية، والتقاليد الخلقية، ومتابعة العلوم والفنون.

– ظاهرة الحضارة عند مالك نبي بصفتها أعلى مراتب النشاط الإنساني ونتيجة تفاعل مجموعة من العوامل والشروط من خلال إنتاجه الفكري الذي كان مرتكزا على أزمة التخلف والانحطاط الحضاري. وأيضا تحليله لمشكلة الحضارة كان من خلال "العناية بالفكرة باعتبارها هي المحرك للإنسان.

– عناصر الحضارة تتشكل في معادلة رياضية ثلاثية تتمثل في الإنسان والتراب والوقت، وهذه العناصر لا يمكن أن تكون ذات فعالية إلا إذا انظم إليها عنصر رابع يقوم بدور التركيب والإدماج وهو العامل الديني أو العنصر الأخلاقي.

– تمر كل حضارة إنسانية في تطورها بمراحل تشبه المراحل العمرية للإنسان الطفولة، الشباب، الشيخوخة، والموت، أي أن لكل منها فتراتها الزمنية وعمرها الذي يكفيها لأداء وظيفتها في العالم، حيث تعرف في البداية تقدما ماديا ومعنويا ثم يلحقها التخلف والتراجع حتى تشهد نهايتها لتبدأ دورة حضارية جديدة في مجتمع آخر، يبينون أن الإختلاف بين الثقافة والحضارة كميا، وليس نوعيا. هذا يعني أم الحضارة خاصة من الثقافة تتميز بمقدار ما تحتويه وبنمطها المعقد أو أنها عنصر أساسي في الثقافة أخذ عناية خاصة من الإنسان فقام بالتفكير فيها وبتهذيبها وتحويلها إلى وسائل لتحقيق غايات واضحة.

– الثقافة عملية تكييف واع أو غير واع تتحقق من خلال العملية التعليمية، بحيث يكتسب الإنسان طفلا كان أو راشدا الكفاية الاجتماعية داخل ثقافته

– مميزات منهج مالك بن نبي حرصه على حصانة الفكر وأصالته وصفائه وفعاليته، إنه يريده فكرا فعالا منتجا حضاريا نموذجيا راقيا في الطليعة وله خصائصه.

– تؤثر الثقافة بالمنهج في مظهرين: – إحتواء معارف معينة وإستثناء أخرى. — فرض نوع من المحتوى الخاص بها على المنهج

– دور البعد الثقافي للمنهج التربوي يكمن في معالجتة مالك بن نبي من ناحيتين هما : التحليل النفسي للثقافة والتركيب النفسي للثقافة.

قائمة المراجع:

أ- الكتب

- ابن خلدون، عبد الرحمن، (1857)، المقدمة، مصر، مطبعة نصر الهوريني.
- السيد، سميرة (1998)، علم اجتماع التربية، ط3، سوريا، دار الفكر العربي.
- باشا، أحمد، (2017)، بحوث ومراجعات في ترشيد الفكر العلمي، القاهرة، دار نيو بوك.
- برغوث، الطيب، (2004)، حركة جديدة الأمة على خط الفعالية الإجتماعية، الجزائر، دار قرطبة.
- بن نبي، مالك، (2002)، تبسيط مشكلة الافكار في العالم الاسلامي،ط3، ترجمة بركة بسام وآخرون، سوريا، دار الفكر.
- بن نبي، مالك، (2000)، مشكلة الثقافة، ط4، ترجمة عبد الصبور شاهين، سوريا، دار الفكر.
- بن نبي، مالك، (1986)، ميلاد مجتمع شبكة العلاقات الغجتماعية، ترجمة عبد الصبور شاهين، سوريا، دار الفكر.
- بوبكر، جيلالي، (2010)، البناء الحضاري عند مالك بن نبي، الجزائر، دار المعرفة.
- بوخلخال، عبد الوهاب، (2012)، قراءة في فكر مالك بن نبي، ط1، قطر، دار الكتب القطرية.
- حاجي، علي، (دون سنة)، محاضرات في انتربولوجيا التربية، السعودية، جامعة الملك سعود.
- حساني، شوقي، (2012)، تطوير المناهج رؤية معاصرة، مصر، المجموعة العربية للتدريب.
- حمدان، محمد، (2018)، تطوير المنهج التربوي مع إستراتيجيات تدريسه ومواده التربوية المساعدة، سوريا، دار التربية الحديثة.
- ديورانت، ويل، (1988)، قصة حضارة، ترجمة زكي محمود، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة.
- شبار، سعيد (2007)، دراسة في الأسس المرجعية والمنهجية الاجتهاد والتجديد،ط1، الولايات المتحدة الأمريكية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
- شروخ، صلاح الدين، (2004)، علم الإجتماع التربوي، الجزائر، دار العلوم.

- فهيم، حسين، (1986)، قصة الأنتربولوجيا فصول في تاريخ علم الإنسان، الجزائر، عالم المعرفة.

- مغربي، عبد الغني، (1998)، الفكر الإجتماعي عند ابن خلدون، ترجمة محمد حسين، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.

- مؤنس، حسين، (1978)، الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطويرها، الجزائر، عالم المعرفة.

- ناصر، ابراهيم، (2011)، علم الاجتماع التربوي، ط1، عمان، دار وائل.

ب- المقالات:

- بوعزة، صالح، (2015)، قراءة تحليلية لمقاربة مالك بن نبي في بناء الأفراد واصلاح المجتمعات العربية في ظل العولمة الثقافية، مجلة تنمية الموارد البشرية الجزائر، المجلد6، العدد1، الصفحات31-84؛

ج- الأطروحات والمذكرات:

- ميهوب، العابد، (2014)، الفكر التربوي عند مالك بن نبي، أطروحة دكتوراه، قسم العلوم الاجتماعية،كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة محمد خيضر، الجزائر.